بنيةَ التأليف الدرامي في المسرح التعليمي.

أ. علوش عبد الرحمن

جامعة وهران 1 احمد بن بلة / الجزائر.

يعتبر المسرح التعليمي وسيلة فعالة في إحداث التواصل بين الملقي و المتلقي، هذا التواصل الذي يكمن في إيصال العديد من الأفكار و القيم و المبادئ إلى الجمهور، لذلك ظل المسرح يقوم بالعديد من الوظائف، منها ما كان ترفيهيا و تطهيريا ومنها ما كان توعويا، و بالأخص تعليميا لذلك اختص هذا الشكل من المسرح بالعديد من الخصائص الفنية والجمالية التي تساهم وبشكل فعال في تأديةالوظيفة التعليمية والتربوية التي يسعى اليها ولان النص المسرحي يعتبر النواة الاولى التي ينصهر فيها الموضوع ليتم تحويله فيما بعد الى عرض مرئي على الركح فلا مناص من ان يتسم المسرح التعليمي بخصائص فنية في تأليفنصوصه المسرحية بغية ايصال الموضوع الى المتلقي وتحقيق الهدف التعليمي والتربوي المنشود منه. فما هو المقصود بالمسرح التعليمي وما هي خصائص بنيته الدرامية التي تساهم في ايصال المعارف والخبرات الى المتلقي وخاصة جمهور الاطفال ؟

يتطلب تعريف المسرح التعليمي ، العودة إلى كلمة :"didactique"وهي كلمة يونانية الأصل، مشتقة من مصطلح

didacticos، والتي تدل على كل ما له صفة تعليمية، ومصطلح المسرح التعليمي واسع لا يرتبط بنوع مسرحي محدد، فهو يشمل كل مسرحية لها بعد توجيهي، أو تربوي، والبعد التعليمي في المسرح كان موجودا منذ القدم، لكنه كان يختلف باختلاف ركائز الفكر في كل زمن من حيث الفكر و الاخلاق و السياسة و العلم و الفلسفة،..، و لما كان المسرح شكلا من أشكال التعبير التي تتداخل بشكل كبير مع المعتقدات الدينية، والقيم الاخلاقية فقد استخدمت هذه الأشكال لأهداف تربوية تعليمية بشكل عام"1.

لذلك أصبحت الدراما عنصرا أساسيا في توعية الفرد وتعليمه، حيث يعود هذا الدور منذ بدايات نشأة الفن المسرحي، و لعل الدليل علىذلك هو ما تناولته المسرحيات اليونانية، و الملاحم والأساطير من مواضيع تطرح العديد من القيم و المبادئ الأخلاقية في شكل نصوص، لها طابعها التعليمي و التوعوي من الناحيةالدينية و السياسية والثقافية والأخلاقية؛ و إذا كانت مثل هذه المواضيع ذات أهمية كبيرة في الجانب التعليمي لدى الفرد، فإن هذا المصطلح أصبح متعدد المفاهيم حسب مجالات استخدامه.

تعرف الدراما التعليمية بشكل عام على أنها موضوع ووسيط للتربية و التعليم، يتناول موضوعا تعليميا معينا، حيث يقوم خلالها الملقي باستخدام كل مهاراته و أفكاره و براعته في إيصال المعلومة،

كمـا أن الـدراما التعليميـة تمـنح الفرصـة للمـتعلم لإدراك الأشـياء والأفكار و القيم و المبادئ، و اكتشـافها مـن داخلـها، واسـتيعابها والتشبث بها والعمل على تطبيقها في حياته العادية2.

ولأن المسـرح التعليمـي أصـبح ذا دور فعـال في العمليـة التعليمية، خاصة من جهة فئة الأطفال، لـذلك نجـد أن العديـد من المؤسسات والمهتمين بهذه الفئة، تهتم بتكوينهـا عـن طريـق العودة إلى هذا القالب الفني، مما جعل المسرح التعليمي يتعدد في مفاهيمه حسـب مجـالات اسـتخدامه، فقـد يكـون هـو المسـرح المدرسي، أو ربما يصطلح عليـه بالمسـرح التربـوي، و المصـطلح الأكثر تداولا في أغلب الأحيان هـو المسـرح التعليمـي، لـذلك فإن هذه المصطلحات المختلفة حسب مجالات الاستخدام، تأخذ مفاهيم مختلفة، حيث يتطلـب ذلـك العـودة إلى هـذه الأشـكال التي يمكننـا مـن خلالهـا التعـرف علـى المفهـوم الحقيقـي لماهيـة المسرح التعليمي، حسب مدلول كل مصطلح أصطلح عليه.

و إذا كان المسرح التعليمي فنا هادفا إلى كـل مـا هـو تربـوي وتعليمي، فإن إعداد هذا النوع من المسرحيات لا بـد أن يعتمـد على العديد من الأسس و الخصائص الضرورية ،سواء ما تعلـق بالنص أو العـرض و إخراجـه ،و لعـل سـبب ذلـك يرجـع إلى مراعاة كل من المخرج و المؤلف في هدف هذا العمـل الـدرامي التعليمي للأبعاد التي يسعى كـل منهمـا إلى تحقيقهـا، واذا كـان

المسرح التعليمي احد فروع المسرح الطفل، فان هـذا الاخـير يتميـز بـنفس خصـائص الكتابـة الدراميـة في مسـرح الطفـل لـذلك فـإن المسرحية التعليمية تعتمد على عدة عناصر أساسية منها:

1-**الموقف الـدرامي** : الـذي يبنـى عـادة علـى المنـاهج و المـواد الدراسية، أو ربما يتناول شيئا من المعارف و الخبرات الحياتية الهامـة ، حيث يرتكز على الصراع و الجدل في شكل أحداث دراميـة وعـادة ما يكون في مثل هذه المسرحيات مفيدا للطفل ،في اكتسـاب العديـد من المهارات مثل التحليل و النقد و البناء ،فضلا عن تعلم الموضـوع و الخبرات و المعارف المطروحة، كما يتميز في المسـرحيات التعليميـة بالنهاية المفتوحة في كثير من الأحيان ؛إذ يسمح للأطفال أو التلاميـذ -إذا كان المسـرح التعليمـي في إطـار الـبرامج الدراسـية- أن يبـدوا آراءهم، و ينتقدون الأحداث و الأفكار، التي تطرح أمامهم" 3،و إذا كان الموقف الدرامي في المسرح التعليمي يتميز بمثل هـذه المميـزات، فمن المؤكد أن بقية العناصر التي يتكـون منهـا لا بـد أن تتميـز هـي الأخرى بالعديد من الخصائص، في شكل يلائم المسرحية التعليميـة ،و أهدافها و من أهم العناصر الأساسـية في بنـاء الموقـف الـدرامي هي:

2-**الحبكة** : أو قصة مسرحية ،التي تعد الجزء الرئيسي في بنية الموقف الدرامي ،و النسيج الكامل في مجريات الأحداث في النص المسرحي،

و لأن أي عمل درامي يبنى على موضوع وسلسلة من الأحداث المتصلة و المتناسقة ،فإن المسرحية التعليمية بدورها تختص بهذا العنصر الرئيسي (الحبكة).تقترن الحبكة في النص المسرحي التعليمي بالعديد من الموضوعات التعليمية ،ليحقق المسرح دوره التعليمي، " ... فبجانب القصة الدرامية المؤثرة التي تشكل عصب العمل ،هناك الموضوعات التعليمية التي تجيء متضافرة مع نسيج القصة الدرامية بشكل كبير " .4

إذا كانت المسرحية التعليمية تحتوي الحبكة شأنها شأن أشكال المسرح الأخرى حيث تتضمن نسيج الفعل الدرامي من بداية و وسط و نهاية ،فإن ما يميزها هو طريقة صياغتها، لتعزيز الهدف المنشود للتواصل بين المعلم و المتعلم ، أو بين الملقي والمتلقي،بشكل عام، من أجل إيصال المواضيع التعليمية التي تتخلل هذه الحبكة ،حيث يمكن أن تصاغ إلى أحداث منفصلة ،لاستعراض أفكار و مواضيع تعليمية هادفة 5؛و لا يبنى الموقف الدرامي على الحبكة فقط في المسرح التعليمي؛ ذلك لأن الفعل الدرامي يحتاج في رسم أحداثه و صراعاته، عنصرا آخرا من هذه العناصر ؛ألا و هي الشخصية ،حيث أن هذه الأخيرة بدورها تحمل العديد من الخصائص في رسمها ،لذلك نجد الكتاب و المخرجين يركزون على تجسيدها في أعمالهم ،وفق ما يفرضه عليهم الهدف التعليمي الذي يسعى إليه المسرح.

3- الشخصيات:

إن الشخصيات في المسرح التعليمي ،شأنها شأن بقية اشكال المسرح الاخرى، حيث تعتبر بمثابة الناقل للأفكار و المعلومات في النص المسرحي التعليمي ،لذلك فإن رسمها و تجسيدها يتطلب مراعاة الغرض التعليمي لهذه النصوص ، سواء ما تعلق بالشخصيات الرئيسية أو الثانوية، و قبل الحديث عن طبيعة الشخصيات، فإن المسرح التعليمي يتطلب الاقتصاد في عددها (الشخصيات) ـ التي تجسد الأحداث ولعل السبب في ذلك يرجع إلى غرض تربوي و تعليمي ،حيث يتسنى للطفل الانتباه و التركيز كما يراعي الكاتب أيضا قلة المهتمين بالعمل في مثل هذه العروض التعليمية، لذلك لا بد من أن يكون عدد الشخصيات محدودا إلى درجة أن معظم الفرق المسرحية التعليمية لا يتعدى أفرادها عن ستة أفراد، و ربما يضطر الممثل في كثير من الأحيان إلى أداء شخصيتين أو أكثر، في حالة ندرة الممثلين إلا الشخصية الرئيسية، فهي تبقى من نصيب ممثل واحد، يمتلك الكفاءة اللازمة لأدائها كونها تعتبر هي المصدر الرئيسي الذي يركز عليه الطفل ،و يتأثر به ،و بما يصدر عنه من مواضيع و أفكار و معارف، و خبرات تعليمية هادفة ـ6

ومنه فإن كاتب المسرحية ملزم بمراعاةكل الظروف التي يتطلبها المسرح التعليمي، كطبيعة الجمهور و الفئة العمرية ،التي

يعرض لها ،و إذا كانت فئة الأطفال هي المعني الأول بهذا الشكل ،من أشكال المسرح التعليمي، فإن هذا النوع من الجمهور لا يمكنه التأقلم مع المسرحيات الكبيرة و المتعددة الشخصيات، إذ يمكن أن تسبب له من التشتت و عدم التركيز، بحيث لا يستطيع أن يستوعب ما يعرض أمامه من معارف وخبرات و أفكار تعليمية و تربوية هادفة.

4-الأسلوب :

إن رسم الأحداث في نص مسرحي تعليمي لا بد أن يتميز عن مسرح الكبار، أو أشكال المسرح الأخرى، إذ يحتاج في ذلك إلى أسلوب يسهل عملية التواصل مع فئة الأطفال، أو التلاميذ في حالة كان في إطار المسرح المدرسي حيث أن تجسيد الموقف الفني و التعليمي في آن واحد، يتطلب أسلوبا فنيا و جماليا في صياغة هذه المسرحيات.

يتحدث عقيل مهدي يوسف على أهمية مراعاة صياغة هذه الأعمال بصورة تلائم و تساهم في هدف المسرح، كي يحقق تعليمية إيجابية حيث يقول: " حين يكون الهدف هو خلق موقف فني تعليمي، فإننا نؤكد هنا على الجانب الجمالي الذي يثري وجدان الطفل و فكره بالطريقة الإجرائية الخاصة، وتحاول أن تخلق مدرك جديد في عالم الطفل الداخلي الروحي، و تثبت لديه الوحدات والوظائف اللغوية القومية حسب طرائق

اللغـة و اسـتخدام تراكيبهـا، و امـتلاك أنسـاقها و بنيتهـا المعلنـة في القول و الكلام ، ...إن الجملـة البسـيطة في المسـرحية التعليميـة مـا هي إلا جملة قد أصبحت قطعة متكاملة البناء والمعاني، حينمـا يكـبر الطفل معها في الحياة الفنية والثقافية والاجتماعية و الفلسفية، وهـذا يفسر لنا أهمية انتخاب نصوص أدبية و مسرحية، فيها من المميـزات ما يجعلها صالحة للطفل"7

ربما يخص عقيل مهدي يوسـف بهـذه الفكـرة كـل أشـكال المسرح الموجه للطفل، غير أنه يركـز علـى الاهتمـام بكـل مـا يلـبي أهواء هذا الأخير من حيث الأسلوب، و يجعل ذلك يصيب بشـكل فعال في تربية الطفل و تكوينه، وهذا ما يؤكد أهميـة هـذا العنصـر، لكي يجعل من العمل المسـرحي تعليميـا و يمكـن المسـرح التعليمـي بشكل عام من أن يحقق تعليمه، و إيصال الخبرات والأفكار والقـيم و المبادئ التربوية و الأخلاقية إلى الطفل، أو ربما التلاميذ، حيـث لا بد من مراعاة طريقة صياغته بأسلوب جذاب غاية في الوضوح، مـع الاهتمام بطبيعة الفئة العمرية التي يقدم لها، حيث أنه يصـعب علـى الطفل أن يفهم لغة الكبار مثلا، أو ربما لغة تبدوا بالنسبة إليـه صـعبة و مبهمة، و لهذا فإن رسم الموقف الدرامي يتطلب الإلمام بكـل هـذه الأشياء لكي يصل إلى الهدف المنشود. وهذا مـا أكـد عليـه حسـن مرعي في كتابه المسرح المدرسي؛ معتبرا أن هذا العنصر من أهـم الأدوات الـتي يتطلبهـا إعـداد نـص مسـرحي تعليمـي موجـه للطفل، حيث يجذب انتباه الطفل ويساهم في إثـراء فكـره بالأفكـار

والمعارف،لذلك يـرى أن الأسـلوب لا بـد " أن يتصـف ببسـاطة اللغـة ووضوح المفردات، وكل غموض في هذا الجانـب يشـوه القصـة، و قـد يفسدها، لأن القصة تكون أكثر سطوعا وجمالا عندما يكون التعـبير عنهـا بسيطا و معبرا و مؤثرا ،... إنها بـذلك تسـتحوذ علـى تفكـير الطفـل و تشده إليها" 8حيث أن بساطة اللغة ووضوح الأفكـار و الألفـاظ كفيلـة بصياغة قصة مسرحية مليئة بالخبرات العلمية والتربوية بل وتكون مناسبة للطفل الذي يقى متهيئا لاستقبالها في المسرح التعليمي، فبسـاطة اللغـة و وضوح المفردات مثلا وقصر الجمل والعبـارات؛تحظى باهتمـام خـاص من طرف الطفل وتجعله على انتباه دائـم و تركيـز محكـم، فهـي حسـب هادي نعمان الهيتي " أشد قربا من الطفل، ولأن الطفل يريد مـن الجملـة نتيجة سريعة، فالطفل لا يتحمل التريـث ويريـد مـن تراكيبهـا أن تكـون واضحة، لأنه لا يتحمل مشقة البحث عن الاستنتاج، و يفضل أن تسـلم النتائج جـاهزة في كـثير مـن الأحيـان، كمـا يعتمـد الأسـلوب في هـذه المسرحيات على المثيرات و المنبهات التي تحقق الانسـجام بـين الكلمـة و الفكرة المعبرة "9،و عليه لا بد على المؤلفين في مجال المسرح التعليمـي؛ أن يهتموا بهذا العنصر كأساس في صياغة المسرحيات التعليمية، حيث لا بـد من مراعاة لغة الكتابة ومفردات الكلام، و صـياغة الأحـداث ونسـجها بأسلوب ملائم وجذاب من جهة فئة الأطفال الـتي يعـرض لهـا، حيـث تعتبر مسؤولية جسـيمة لا يسـمح الإخـلال بهـا، لـذلك فـإن صـلح الأسلوب نجح العمل المسرحي ، وتمكن مـن تحقيـق هـدفهالتعليمي

و التربوي ، و إن ضعف الأسلوب ستكون النتائج عكس ذلك حتما.

5-الفكرة :

تعتبر الفكرة إحدى العناصر الهامة و الرئيسية في البناء الدرامي لأي عمل مسرحي، غير أنها تختلف حسب اختلاف المواضيع والمجالات المتنوعة التي يستخدم فيها المسرح، و كذلك اختلاف أهدافه، لذلك نجد المسرح التعليمي يتميز بطبيعة الأفكار المطروحة و المعالجة في نصوصه وفق أهدافه المسطرة في العملية التعليمية.

إن الفكرة الجيدة كما يراها النقاد و الدارسون في هذا المجال، هي التي تتناول موضوعا يثير انتباه الطفل ويستهويه، ولذلك فإن المسرح التعليمي يتطلب التقاط الأفكار الملائمة و تجسيدها في شكل يبدوا وكأنه غاية في التشويق و الوضوح، حيث تصب في اهتماماته الحياتية و العلمية و التربوية، لتكون بذلك فكرة قريبة من حياة الطفل، حيث تمسي قضية تعليمية أو تربوية تجعله يركز انتباهه عليها، وتضعه أمام عقدة معينة يسعى بنفسه إلى إيجاد حل لها أو انتقادها، أو ربما العمل بها مما يساهم في اكتسابه مهارات خاصة، وتكوينا علميا وتربويا وأخلاقيا وحتى سيكولوجيا[10] .

و لا يخفى علينا أن خصوصية المسرح التعليمي تظهر في أفكاره التي يعالج من خلالها العديد من المواضيع،التي يثري بفضلها وجدان الطفل و فكره بالخبرات العلمية و التربوية، وهذا ما يؤكد

عليه كمال الدين حسين، حيث يقول : " عندما نحاول أن نعد مادة تعليمية إلى نص درامي، يجب أولا أن نهتم بالفكرة والقيمة التعليمية الأساسية، أو المفهوم التعليمي الأساسي، الذي نحاول من خلاله توظيف فن العرض المسرحي وتبسيطه و شرحه للمتلقي " 11

لا بد أن تتسم طبيعة هذه الأفكار بنوع من الوضوح، و إذ كانت الأفكار في النص المسرحي مختلفة ومتنوعة،فإن بعضها يمكن اكتشافه من طرف المتعلم (المتلقي) الطفل،وأما ما صيغت متخفية في النص، فالأجدر بالمعلم أو المخرج أن ينمي في الطفل مهارة البحث، و اكتشاف معانيها متسترة في السياق الدرامي ـ12، فكار لأأأولأن المسرح التعليمي باتت مميزاته تختلف عن مسرح الكبار و تصب في أهدافه التعليمية، فإن الملاحظ هو أن كل عنصر من عناصر البناء الدرامي في هذا الشكل من المسرح، إلا ويتطلب توظيفها بشكل يلائم الهدف التعليمي الذي وجد إليه.

6-الحوار :

إن ما يميز المسرح عن سائر الآداب و الفنون؛ هو اتسامه بخاصية الحوار، هذا العنصر الذي يعتبر أحد الأسس الهامة في الكتابة الدرامية، و نسج الأحداث و صياغة القصة الدرامية وصراع الشخصيات في شكل حواري، لذلك فهو " جزء من أجزاء الحدث الدرامي، حيث يدفع الحدث إلى التطور، ويكشف عن شخصية صاحبه وأفكاره و عواطفه"ـ13، ومنه

فإن هذا العنصر بـدوره، لا بـد أن يوظـف في شـكليلائمالهدف التعليمـي للمسـرح، حيـث أن الحـوار في المسـرح التعليمـي يعتبرعنصراحساسا في مخاطبة الأطفال أو المتعلمين .

يرى كمال الدين حسين أن " الحوار يصاغ في عمومه حسب نوعية المتلقي، فإذا كان العمـل مقـدما إلى الصـغار، فيفضـل أن نقدمه باللغة العامية، مـع تطعيمـه بـبعض ألفـاظ اللغـة العربيـة الفصـحى، لإثـراء القـاموس اللغـوي للطفـل، و خاصـة المصطلحات العلمية التي يجب أن تنطق كما هي "14.

وهذا ما يؤكد ضرورة الاهتمام بصياغة الحوارات و توظيفها في شكل يخدم العملية التعليمية، كما يستحسن أن يهتم الكاتـب المسرحي في المسرح التعليمي بالفئة العمرية التي تستقبل العمـل المسرحي، حيث يتم تجسـيد الحـوارات حسـب هـذه الفئـة، ممـا يجعل الخطاب المسرحي الموجه إلى هذا الجمهـور يكـون مناسـبا وفعـالا ، ويعتـبر الحـوار "الوسـيلة الفعالـة لنقـل الأفكـار والمعلومـات بـين الملقـي و المتلقـي، و اللغـة الـتي تمثـل وسـيلة الاتصـال بـين المؤلـف والمشـاهد، حيـث تشـتمل علـى الحـوار المنطوق و الفعل الإشاري الدال على معنى ما"15.

إن خاصـية الحـوار في المسـرح التعليمـي شـأنها شـأن بقيـة عناصر البناء الدرامي،إذ تتطلب صـياغتها وتوظيفهـا في الـنص

المسرحي، وفق الأهداف التعليمية التي يسعى الكاتب لـذلك لا بد أن تكون هذه الخاصـية (الحـوار) في المسـرح التعليمـي هـي الأخرى عنصرا هاما و هادفا في شكل يسـاهم في جعـل العمـل المسرحي يؤدي وظيفته التعليمية علـى أحسـن وجـه و تسـهيل عملية الخطاب و التواصـل مـع فئـة الأطفـال و المـتعلمين مـن الجمهور خلال العرض.

وختاما :

فان إعداد المسرحية التعليمية؛ يتطلب الإلمام بالعديد من المقومات العامة بدءًا بمراعاة طبيعة الجمهور، والفئات العمرية من الأطفال، و كذا أسلوب كتابتها وعرضها، بأسلوب تعليمي إبداعي جذاب يثير المتلقي ويستهويه.

أما الخصائص الفنية للمسرحيات التعليميـة والمقدمـة منهـا لجمهور الاطفال بشكل خاص ، فإن توظيفها لا بد أن يكون في إطار ما يثير اهتمام الطفل، و إعجابه مـن جهـة، و تمكينـه مـن اسـتيعاب المعـارف و القـيم التعليميـة و التربويـة المطروحـة، بأسلوب يحقق المتعة و التسلية في الوقت ذاته.

لذلك كان لابد ان تتسم النصوص المسرحية التعليمية ببنيـة دراميـة تلائـم الهـدف المنشـود وتـؤدي في الاخـير الى ايصـال المعارف والعلوم الى المتلقي انطلاقا من جوهر الموضوع المتنـاول

والمتمثل في الفكرة الاساسية والموقف الدرامي الى بقية عناصر الكتابة الدرامية الاخرى من حبكة وحوار واسلوب وشخصيات ..وغيرها حيث لابد من توظيفها توظيفا يخدم الهدف التعليمي والتربوي الذي يسعى اليه هذا الشكل من المسرح.

الهوامش:

1. ماري إلياس ، حنان قصاب ، المعجم المسرحي ، م س ـ ص 137
2. ينظر لينا نبيل أبو مغلي ـ مصطفى قسيم هيلات ـ الدراما والمسرح في التعلم م س ـ ص 25
3. ينظر ـ لينا نبيل أبو مغلي ـ مصطفى قسيم هيلات ـ الدراما والمسرح في التعليم ـ النظرية و التطبيق ـ م س ص 31
4. كمال الدين حسين ـ المسرح التعليمي ـ المصطلح و التطبيق ـ م س ص 139
5. ينظر ـ لبنانيل أبو مغلي ـ مصطفى قسيم هيلات ـ الدراما والمسرح في التعليم م س ص 31 ، 32
6. كمال الدين حسين ـ المسرح التعليمي ـ المصطلح و التطبيق ـ م س ص 132
7. عقيل مهدي يوسف ـ التربية المسرحية في المدارس م س ص12

8. حسن مرعي ـ المسرح المدرسي ـ م س ـ ص 41
9. هادي نعمان الهي ـ أدب الأطفال فلسفته فنونه و بساطته ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب 1986 ـ ص 98 ،99
10. ينظر ـ حسن مرعي ـ المسرح المدرسي م س ص 32
11. كمال الدين حسين ـ المسرح التعليمي ـ المصطلح و التطبيق ـ م س ص
12. لبنانيل أبو مغلي ـ مصطفى قسيم هيلات ـ الدراما و المسرح في التعليم ـ م س ص 32
13. أحمد نجيب ـ أدب الأطفال ـ علم و فن ـ دار الفكر العربي القاهرة ـد ط دت ص 95